أكبر منه وسواء كان من جنسه أو لا فالكُوزُ صغير بالإضافة إلى الجرة والجمل صغير بالإضافةِ إلى الفيل ولا يقال للجمل صغيرٌ على الإطلاق وإنما يقال هو صغير بجنب الفيل.

«الفرق» بين اليسير والقليل أن القِلَّة تقتضي نُقْصانَ العدد، قال: قَوْمٌ قليلٌ وقليلونَ وفي القرآن: ﴿ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾[الشعراء:٥٤] يريد أنَّ عَددهُمْ ينقص عن عدة غيرهم وهي نقيضُ الكَثْرَةِ وليست الكَثْرةُ إلا زيادة العدد وهي في غيره استعارة وتشبيه، واليسير من الأشياء ما يتيسر تحصيله أو طلبه ولا يقتضي ما يقتضيه القليل من نقصان العدد، ألَا ترى أنه يقال عددٌ قليلٌ ولا يقال عددٌ يسيرٌ ولكن يقال مالٌ يسيرٌ؟ لأن جمع مثله يتيسر فإن اسْتُعْمِل اليسير في موضع القليل فقد يجري اسم الشيء على غيره إذا قَرُبَ منه.

«الفرق» بين الكَثير والوافر: أنَّ الكَثْرَةَ زيادةُ العدد، والوفور اجتماعُ آخر الشيء حتَّى يكثرَ حجمه، ألَا تَرى أنه يقال كُرْدُوس [1] وافر والكُرْدُوس عظم عليه لحم ولا يقال: كُردوس كثير، وتقول حظٌّ وافرٌ ولا تقولُ كثيرٌ وإنما تقول: حظوظٌ كثيرةٌ ورجالٌ كثيرةٌ ولا يقال رجالٌ كثيرةٌ، فهذا يدلُّ على أن الكثرةَ لا تصحُّ إلا فيما له عدد ومالا يصح أن يعد لا تصح فيه الكثرة إلا على استعارة وتوسُّع.

«الفرق» بين الجَمِّ والكثير أن الجَمَّ الكثيرُ المجتمع، ومنه قيل جَمَّةُ البئر لاجتماعها، وقال أهلُ اللغة: جَمَّةُ البئر: الماءُ المجتمعُ فيه والجَمَّةُ من الشعر سُمِّيَتْ جَمَّةً لاجتماعها، وأجْممتُ الفرسَ إذا أرحْتُهُ يتجمَّع قوته، وأجَمَّ الشيء إذا قَرُبَ كأنه قصد الاجتماع معك ويجوزُ أنْ يكونَ كثيرًا غيرَ مُجتمعٍ.

البَابُ الحادي والعِشْرُونَ

في الفَرْقِ بَيْنَ العَبَث واللعب والهَزْل والمزاح والاسْتِهْزَاء والسُّخْرِيَة وَمَا يُخالف ذَلكَ

«الفرق» بين العَبَثِ واللَّعِب واللَّهْو: أنَّ العَبَثَ ما خَلا عن الإرادات إلَّا إرادةُ حُدوثه فقط، واللَّهْوُ واللَّعِبُ يتناولهما غير إرادة حدوثهم إرادة وقعا بها لَهْوًا ولَعِبًا، ألَا ترى أنه كان يجوزُ أنْ يقَعا مع إرادةٍ أُخرى فيخرجا عن كونهما لَهْوًا ولَعِبًا؟ وقيل: اللَّعِبُ عملٌ للذَّةٍ لا يُراعى فيه دَاعي الحِكْمةِ كعمل الصَّبي لأنه لا يعرفُ الحكيمَ ولا الحكْمةَ وإنما يعملُ للذَّةٍ.

«الفرق» بين اللَّهْوِ واللَّعِب أنهُ لا لهو إلا لعب وقد يكونُ لعبٌ ليس بلَهْوٍ لأنَّ اللعبَ يكون للتأديبِ كاللعبِ بالشَّطْرَنْجِ وغيره ولا يقال لذلك لَهْوٌ وإنما اللَّهْوَ لعبٌ لا يعقب نفعًا

(١) الكُرْدوس: كل عظم نام ضخم، ورأس العظم ذي المخ وكل عظمين التقيا في مَفْصل، نحو المنكبين والرُّكبتين والوركين والجمع كراديس

وسمِّي لهوًا لأنه يشغل عما يعنى من قولهم ألْهَانِي الشيءُ أي شَغلني ومنه قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١].

«الفرق» بين المزاح والاسْتِهزَاءِ أن المِزَاحَ لا يقتضي تَحْقِيرَ مَنْ يُمازِحهُ ولا اعتقاد ذلك، ألَا تَرى أنَّ التابعَ يُمازِحُ المتْبُوعَ من الرؤساءِ والملوكِ ولا يقتضي ذلك تَحقِيرهُمْ ولا اعْتِقَاد تَحْقِيرِهِمْ ولكنْ يَقتضي الاستئناسَ بهم على ما ذكرناه في أول الكتاب، والاستهزاءُ يقتضي تحقير المُسْتهزَأ به واعتقاد تحقيرِه.

«الفرق» بين الاسْتِهْزَاءِ والسُّخْرِيَة أن الإنْسَانَ يستهزأُ به من غير أن يسبقَ منه فعلٌ يستهزأ به من أجْلِهِ، والسَّخْرُ يدلُّ على فعل يسبق من المسْخُور منه والعبارةُ من اللفظين تدلُّ على صحة ما قُلناه وذلك أنَّكَ تقولُ اسْتَهْزَأتُ به فتعدَّي الفعل منك بالباء والباء للإلْصَاق، كأنك ألْصَقْتَ به اسْتِهْزَاءً من غير أن يدلَّ على شيء وقع الاسْتِهْزَاءُ من أجْلِهِ، وتقول: سخرتُ منه فيقتضي ذلك من وَقَعَ السَّخْر من أجله كما تقولُ: تَعجَّبْتُ منه فيدل ذلك على فِعلٍ وقعَ التعجُّبُ من أجله، ويجوزُ أنْ يُقالَ أصل سَخرتُ منه التَّسْخِير وهو تذليلُ الشيء، وجَعْلَكَ إياه منقادًا فكأنك إذا سَخَرْتَ منه جعلتهُ كالمُنْقَادِ لك ودخَلَتْ مِنْ للتبعيض لأنك لم تسخره كما تسخرُ الدابةُ وغيرها وإنما خدعتُه عن بعض عقله وبني الفعل منه على فَعلتُ لأنه بمعنى عَنيتُ وهو أيضًا كالمطاوعة والمصدر السُّخْرِيةُ كأنها منسوبةٌ إلى السُّخْرةِ مثل العُبودية واللُّصوصِيَّة وأما قوله تعالى: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] فإنَّما هو بعث الشيء المسخر ولو وضع موضع المصدر جاز، والهزء يجري مجرى العبث ولهذا جازَ هزَأت مثل عبثت فلا يقتضي معنى التَّسْخِير فالفَرْقُ بينهما بَيِّنٌ.

«الفرق» بين المِزَاح والهَزْلِ أن الهَزْلَ يقتضي تواضُعَ الهازِلِ لمن يهزلُ بين يديه والمزاحُ لا يقتضي ذلك، ألَا تَرى أن الملك يمازحُ خَدَمَهُ وإن لم يتواضعْ لهم تواضُعَ الهازلِ لمن يهزل بين يديه، والنبيُّ يمازحُ ولا يجوز أن يقال يَهزلُ ويقال لمن يسخر، يهزلُ ولا يقال يمزحُ.

«الفرق» بين المِزَاحَ والمُجونِ أن المُجُونَ هو صلابةُ الوجه وقِلَّةُ الحياءِ من قولك مَجَنَ الشيء يمجُن مجونًا إذا صلبَ وغلظَ ومنه سُمِّيتِ الخشبةُ التي يدق عليها القصار الثوب مُجْنَةً وأصل المُجْنةِ البُقْعَةُ الغليظةُ تكون في الوادي، وأصلها موجنة فقلبت الواو ياءً لكسرة ما قبلها ومنه الوجَينُ وهو الغليظُ من الأرض ومنه ناقةٌ وجْنَاءُ: صلبةٌ شديدةٌ وقيل هي الغليظةُ الوَجَناتُ، والوَجْنةُ: ما صلبَ من الوجْهِ. والمجُونَ كلمةٌ مُولَّدة لم تعرفه العربُ، وإنَّما تعرفُ أصله وهو الذي ذكرناه، وقيل: المِزَاحُ الإبهامُ للشيء في الظاهر وهو على خلافه في الباطن من غير اغْتِرارٍ للإيقاع في مكْرُوهٍ، والاستهزاءُ: الإيهامُ لما يجب في الظاهر، والأمْرُ على خلافِه في الباطنِ على جهة الاغْتِرَارِ.

«الفرق» بين الجَدِّ والانْكِماش أنَّ الانْكِمَاشَ سرعةُ السير يقال: انْكَمشَ سَيْرُهُ إذا أسْرعَ فيه ثم اسْتُعْمِلَ في كل شيء تصحُّ فيه السرعةُ فتقول: انْكَمشَ على النَّسْخِ والكِتابةِ وما يجري مع

ذلك، والجدَّ صِدْقُ القيام في كل شيء، تقولُ: جَدَّ في السَّيْرِ وجَدَّ في إغاثةِ زيد وفي نُصْرَتِهِ ولا يقال: انْكَمَشَ في إغاثة زيدٍ ونُصْرَتِهِ إذ ليس بها تصحُّ فيه السُّرْعةُ.

البابُ الثاني والعشرون

في الفَرْقِ بَيْنَ الحِيلَةِ والتَّدْبير، والسِّحْرِ والشَّعْبَذَةِ[1]، والمَكْرِ والكَيْدِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْ ذَلِكَ، وبَيْنَ العُجْبِ والإمْرِ وَمَا بسبيله

«الفرق» بين الحِيلةِ والتَّدْبيرِ أن الحِيلَة ما أُحيل به عن وجهه فيجلبُ به نَفْعٌ أو يُدْفَع به ضرٌّ، فالحيلةُ بقدر النفع والضُّرِّ من غير وجه وهو في قول الفقهاء على ضَرْبين: محظورٌ، ومباحٌ فالمباح أنْ تقولَ لمن يحلف على وطء جاريته في حال شرائه لها قبل أن يشتريها: اعْتقها وتزوجها ثم طأها وأن تقول لمن يحلف على وطْء امرأته في شهر رمضان أخرج في سفر وطأها. والمحظورُ أن تقولَ لمَنْ تركَ صلواتٍ ارْتَدَّ ثم أسْلَم يسقط عنك قضاؤها، وإنما سُمِّي ذلك حيلةً لأنه شيء أُحيلَ من جهةٍ إلى جهة أُخرى ويسمَّى تدبيرًا أيضًا. ومن التدبير ما لا يكون حِيلةً وهو تدبيرُ الرجل لإصلاح ماله وإصلاح أمر ولده وأصحابه، وقد ذكرنا اشتقاق التدبير قبل.

«الفرق» بين السِّحْرِ والشَّعْبَذَةِ أنَّ السحرَ هو التمويهُ وتخيل الشيء بخلاف حقيقته مع إرادة تجوُّزه على من يقصده به وسواءٌ كان ذلك في سرعة أو بطء، وفي القرآن: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦] والشَّعْبَذَةُ ما يكون من ذلك في سرعة فكلُّ شَعْبذةٍ سحرٌ وليس كلُّ سحرٍ شَعْبذَةً.

«الفرق» بين السِّحْرِ والتَّمْويهِ أن التَّمويهَ هو تغطيةُ الصواب وتصويرُ الخطأ بغير صورته، وأصله طِلاءُ الحديد والصُّفْرِ[2] بالذهب والفضلة ليوهم أنه ذهبٌ وفضةٌ، ويكونُ التمويهُ في الكلام وغيره تقول كلام مموَّهٌ إذا لم تبين حقائقه، وحُليٌّ مموَّه إذا لم يعين جنسه، والسِّحْر اسمٌ لمادقَّ من الحيلة حتى لا تفطنَ الطريقة، وقال بعضُهم: التَّمويهُ اسمٌ لكل حيلةٍ لا تأثير لها، قال: ولا يقال تمويه إلا وقد عرف معناه والمقصد منه، ويقال: سحر وإن لم يعرف المقصد منه، ولهذا قيل: التمويهُ ما لا يثبتُ، وقيل: التمويهُ أن ترى شيئًا مجوز له بغيره كما يفعل مموَّه الحديد فيجوزه بالذهب، وسَمَّى النبيُّ ﷺ البيانَ سِحْرًا وذلك أن البليغَ يبلغُ ببلاغته ما لا يبلغُ الساحرُ بلطافةِ حيلته.

«الفرق» بين العُجْبِ والإمْرِ أن الإمْرَ العجبُ الظاهرُ المكشوفُ، والشاهد أن أصل الكلمة

(١) الشَّعْبَذَةُ: شَعْبَذَ شَعْبَذَةً: مهر في الاحتيال وأرى الشيء على غير حقيقته معتمدًا على خداع الحواس. وزيَّن الباطلَ لإيهام أنه حق. فهو مُشَعْبِذ.

(٢) الصفر: بضم الصاد المشددة وإسكان الفاء: النحاس الأصفر.